الباب الثانى

دورإ يران فى الأزمة السورية

مصلحة ايران فى سوريا

- إيران: بعد تراجع وهج ثورة الخميني الإيرانية وتبيّن بطلان وعود تحقيق العدالة والمساواة، تحول الحكم الإيراني خلال العقدين الماضيين لنظام ديكتاتوري بنفس الأسلوب الدّيكتاتوري العربي: جوعوا، امرضوا، أطيعوا، ونحن القيادة نقرر من هو عدوكم ومعاركم ونحن من يتنعم بالرفاهية وكلنا نذكر كيف تم قمع ثّورة الشّباب في إيران بعد انتخابات 2009 بأسلوب دموي ناري ومن بين مبررات بقاء النّظام الإيراني كأي نظام ديكتاتوري الإبقاء على شبح التّهديد الخارجي القادم من إسرائيل والغرب، لذا ازداد التحالف بين الحكمين الإيراني والسّوري قوة وحكام إيران رغم أنهم أقوى وأغني من نظيرهم السّوري إلا أن فقدان هذا الحلف الوثيق يفقدهم كثيراً من الأوراق الأساسية التي يملكونها في المنطقة لذلك فالخيار الإيراني كان واضحاً بضخ كل الدّعم المطلوب خاصة المالي للنظام السّوري لإبقائه حياً فإيران بحاجة لوجود حكم حليف في سوريا لأنه يشكل بالنسبة لإيران ممراً أساسياً نحو منطقة الشرق الأوسط بالذات نحو لبنان وفلسطين وأوروبا ودول الخليج العربي وفقدان إيران لهذه البوابة يعني محاصرة إيران بين أعدائها ويهدد نفوذ إيران القوي فى العراق.

إيران كدولة كبرى في المنطقة تسعى لتحقيق مصالحها الحيوية وأولها الاستقرار الداخلي بمعناه السلطوي خلال فترة حكم الشاه لإيران كان النظام الإيراني مكتفيا بكونه قاعدة أساسية للنفوذ الغربي من خلال السيطرة البريطانية والأمريكية على إيران مع قدوم الخميني وما حمله من مشروع إسلامى شيعي كرجل دين ومع رد الفعل العنيف للغرب على الثورة الإيرانية تلاقى الخوف من عداء الغرب مع الرؤية الدينية للخميني ثم أتت حرب العراق وإيران سريعاً لتساهم بكل مآسيها في ترسيخ عقيدة الخميني أن الخارج وسط معاد لنا فلاقى مشروعه نجاحاً أكبر في الشارع الإيراني،فالخوف هو أفضل الوسائل للتحكم فى العقلية الجماعية للبشر وتكوّنت السلطة الإيرانية على أساسيات العقيدة الخمينية كعامل تجميع وتقييم ضمن إيران وبالتالي تابع النظام الإيراني نفس سياسة الخميني وازداد طموحه وخوفه من الخارج خاصة الغربي والإسرائيلي ولم يستطع النظام الإيراني التخلص من إرث التاريخ الإيراني الحديث، فحافظ على بعض شكليات الديمقراطية مثل الانتخابات كان قدوم الرئيس محمد خاتمي فرصة كبيرة للغرب أن يتصالح مع إيران ويشجع التيارات المعتدلة فيها ويستثمر نزوع الشباب الإيراني للتخلص من حكم الفقهاء لكن كعادة السياسة الغربية تم حصر خاتمي بين ضغط الجناح المحافظ المتعصب داخل إيران وبين ضغط السياسة الغربية

المتعجرفة فلم ينجح إقتصادياً في تحقيق التحسينات التي هي أساس شعبية أي حاكم لذلك استطاع الجناح المحافظ العودة للحكم وبقوة كبيرة ووفق سياسة متسارعة لتحقيق سيطرة كبيرة على مجال إيران الحيوي، خاصة بعد دخول أمريكا أفغانستان والعراق، فبدأ ما يشبه حرب الاستنزاف مع الأمريكيين على الجبهتين معتمداً على حلفائه الروس والصينيين وعلى النظام السوري وبعض الحركات الإسلامية مثل حزب الله وحماس شكل النظام السوري بالنسبة للحكم الإيراني ضمن هذا الصراع الوحشي نقطة ارتكاز استراتيجية وأساسية لتجاوز حدود إيران الجغرافية لذلك فالقرار الإيراني الاستراتيجي كان منذ البداية الدعم المطلق للنظام السوري مهما كلف الأمر من مال أو سلاح فخطف سوريا من يد لإيران لصالح الحلف الغربي الخليجي التركي الإسرائيلي يعني حصر إيران جغرافياً وخنقها تدريجياً مما قد يؤدي على المدى القريب لانتقال عدوى الثورات العربية لداخلها.

هنا يجب أن نلاحظ أن حرف بعض المعارضة مبدأ التّنديد بالموقف الدّاعم للنظام السّوري من إدانة الحكم الإيراني إلى إدانة الشّعب الإيراني من منطلق طائفي متخلف يؤدي لخسارة كبيرة للثورة السورية فالشعب الإيراني أيضاً مهيأ لثورة شعبية ضد ظالميه وقد بدأت قبل الرّبيع العربي بعدة سنوات، ومهاجمة الموقف الإيراني من منطلق طائفي يصب في

تصليب موقف الحكم الإيراني أمام شعبه المظلوم وهذا كان خطأ كبيراً من المعارضة السورية الخارجية النّاطقة باسم الثّورة السورية هذا التشويه الإعلامي من خلال عدم الفصل بين الإدارة السياسية للدولة وبين شعبها مشكلة إنسانية عامة وفي الأزمة السورية فالإعلام العربي خاصة الخليجي والغربي بالإضافة لبعض المعارضة السورية سايروا المسار السابق الممتد منذ عقدين تقريباً على تأجيج العداوة بين السنة والشيعة، بين العرب والإيرانيين والإعلام الإيراني والنظام لعبوا على نفس الوتر داخلياً حين نشروا خوفاً وهمياً من السنة والعرب لصالح السياسة العربية والغربية والعامل الهام في العلاقة بين إيران ما بعد الخميني والعرب أن مشاعر الخوف تصاعدت بشكل عنيف من الجانبين خاصة من قبل حكام كلا الضفتين والإعلام التابع لهما إعلان إيران كدولة وفق المذهب الشيعي الإثنى عشري ومبدأ ولاية الفقيه الذي سنّه الخميني بالإضافة لتصريحاته الحماسية الداعية لتصدير الثورة أخاف حكام دول الخليج العربي بالذات وبقية الحكام العرب ممن يستخدمون التبرير الديني الإسلامي في حكمهم هذا الخوف مبرر لأي حاكم فى منطقة تتداخل فيها كل الأيادي من مختلف دول العالم بسبب غناها الفاحش بمصادر الطاقة ومهما ادعى شيوخ السنة والإعلام العربي فإن إعلان إيران كدولة داعمة للقضية الفلسطينية حرك مشاعر الشباب

المسلم في الشارع العربي بعد أن وصل لمرحلة اليأس من تحقيق الدولة العادلة واسترجاع الحق الفلسطيني بالطبع هذه المشاعر تناقضت مع مشاعر الانتماء المذهبي القوية داخل المسلم السني لذلك كانت حرب إيران والعراق هي بداية محاربة هذه المشاعر وإعادة التحكم بها لتواجه مشروع الخميني ومنذ بدايات الثمانينات سخر كلا الفريقين الحكم الإيراني والعربي الخليجي إمكانيتهم المادية لشن حرب إعلامية لا هوادة فيها ضد الآخر باستخدام العامل الديني الراسخ فى التاريخ الإسلامي بين السنة والشيعة هذه الحرب وصلت لأوجها منذ بداية الألفية الثالثة مع تطور وسائل الاتصال عبر العالم فلم يعد بإمكان أي حكومة منع شعوبها من الوصول للمعلومات فإذا أضفنا لذلك الحرب الشرسة التي شنها الغرب على إيران بحجة الخوف من السلاح النووي وتحالف الغرب السياسي مع الحكم العربي الخليجي يمكننا أن نفهم أي زاوية ضيقة تم حشر الشعب الإيراني فيها بين حكم ديني استبدادي وبين عداء خارجي لا يخفي نفسه.[1]

1- سوريا والقوى الدولية ص105-110أسامة عبد الرحمن0

دور إيران في التخطيط والقيادة والتحكم

يعامل الإيرانيون على الحدود السورية – اللبنانية معاملة خاصة حيث يظهرون جوازات سفرهم للضباط على النقطة من دون الحاجة للنزول من سياراتهم،وينقل عن رجل أعمال من حمص قوله الإيرانيون موجودون وغير موجودين، فهم مثل الأشباح لهذا السبب فالتكهنات حول دورهم وما يقومون بعمله منتشرة بشكل واسع والكل يجمع على أنهم يلعبون دوراً مهماً وإن من خلف الأضواء.

وينقل بلاك عن إميل هوكاييم الباحث في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية نعرف الكثير عما يفعله الإيرانيون في أماكن معينة، ونشاهد أسلحة ومعدات وتصنت، لكننا لا نعرف ما يفعلون من ناحية مؤسسية، في حين نتساءل عن دورهم في التخطيط والقيادة والتحكم.

تتحدد أهداف الدول الساعية لحماية مصالحها القومية، من خلال سياستها الخارجية، وتتأثر بالبيئة العالمية التي تتعامل معها وتتحرك فيها، وبالقوة أو القوى التي تتحكم وتوجه هذه البيئة ويصاغ الدور والسياسة الخارجية الإيرانية في إطار الوحدة الدولية، بغية تحقيق أهدافها إزاء وحدات خارجية ففي عصر التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال لم تعد النظم والجماعات قادرة على الانحسار داخل بوتقة خاصة أو الانغلاق على الذات.

وجدت إيران نفسها في بيئة مغايرة تماماً لبيئة السبعينات، فقد اختلفت البيئة العالمية في سبعينات القرن الماضي عنها في القرن الحادي والعشرين، بما تتيحه من فرص وخيارات أمام إيران، بدأت تتضح معالمها منذ تسعينات القرن الماضي.

ساهمت الحرب الأمريكية على الإرهاب في تعزيز مكانة إيران كدولة إقليمية ذات نفوذ قوى ووفرت واشنطن لإيران فرصة مناسبة للحصول على مكانة إقليمية ودولية فبعد الإطاحة بنظامين (العراق، أفغانستان) كانا يشكلان تهديداً مباشرة لطهران، تمت مكافأة إيران بإطلاق يدها في العراق ولبنان، وأصبح لها نفوذ في مناطق أخرى مهمة، مثل غزة، وأسيا الوسطى، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية فقد استغلت إيران انهيار النظام العراقي وانشغال أمريكا في حربها في العراق، لتتحول إلى القوة الإقليمية الأبرز، والى فاعل سياسي رئيسي في المنطقة وهكذا، تصبح إيران طرفاً مهماً في تشكيل النظام العراقي الجديد، وتسعى إلى أن يكون النظام العراقي الجديد غير معادٍ لها أو أن يكون مؤيداً أو متعاطفاً معها. فبعد أن كان النظام العراقي القديم يشكل تحدياً أمام حرية الفعل الإيراني لتحقيق دور إقليمي، بات اليوم أمام إيران الفرص متاحة بشكل كبير.

والأهم هو، أن هذه البيئة الدولية والإقليمية، فتحت فرصاً كبرى أمام إيران للتحرك فى اتجاه تطوير برنامج نووي كما أن هذا البرنامج

النووي قد يُكسب الطبقة الدينية القابضة على الحكم، شرعية تساعدها على الاستمرار وبسط سيطرتها على الداخل بالطريقة التي تنسجم وتتماشى مع تصوراتها، بالإضافة إلى تثبيت نظام الحكم ومبادئ الثورة كما أن هذا التعنت الإيراني أمام الأمريكان اكسبها شرعية إقليمية عند البعض، مما اكسبها سيطرة على بعض الدول ، لتتماشى مع تصورات الجمهورية الإسلامية الإيرانية للمنطقة، وتدور في فلكها.

أضف إلى ذلك، إن حرب واشنطن على الإرهاب، وتحطيم النظامين العراقي والأفغاني، جعل إيران طرفاً في أي حوار أمريكي يخص العراق وأفغانستان وبالفعل لقد أجرى دبلوماسيون أمريكيون وإيرانيون، مع مسئولين من دول أعضاء في الأمم المتحدة، في بون العاصمة السابقة لألمانيا، لقاءات في إطار محادثات متعددة الأطراف حول تشكيل حكومة جديدة ووضع دستور جديد لأفغانستان وناقش كل من السفير الأمريكي لدى العراق مع نظيره الإيراني أعمال العنف في العراق وأجريت ثلاث جلسات أخرى من تلك المحادثات منذ عام 2008، برعاية وزارة الخارجية العراقية وفي مارس 2009، أجرى ريتشارد هولبروك المبعوث الأمريكي الخاص إلى أفغانستان وباكستان، حديثا موجزا ووديا مع ممثل إيران خلال مؤتمر دولي حول أفغانستان وغيرها من اللقاءات

والمشاورات التي تجري بين الأمريكيين والإيرانيين لتقرير مستقبل العراق وأفغانستان.

واستطاعت إيران بسط نفوذها الإقليمي، وأمست طرفاً في تشكيل مستقبل العراق وأفغانستان، ومؤثرةً في الوضع السياسي في لبنان وفلسطين وهو ما ينبئ بأن إيران قد تكون لاعباً أساسياً في تشكيل الشرق الأوسط الجديد وعموما، إن الحرب الأمريكية على الإرهاب، والمأزق الأمريكي في العراق وأفغانستان، واستنزاف القدرات الأمريكية ، وعدم قدرتها على ضرب أي بلد آخر، ناهيك عن مناطق التوتر الأخرى، والأزمة المالية العالمية، كل ذلك ترك فراغاً، وفتح فرصاً كبرى أمام حرية الحركة الإيرانية.

إن سقوط النظام العراقي والأفغاني، جعل إيران أمام فرص متعددة، لكنه في نفس الوقت فرض عليها تحديات ومعيقات فقد أصبحت إيران أكثر من أي وقت مضى عرضة للضغوط الأمريكية، وبمختلف الوسائل لمنعها من البروز كقوة إقليمية؛ لأن واشنطن لن تسمح ببساطة ببروز قوة إقليمية معادية لها كما جعلها في موضع الخطر المباشر، خاصة أن واشنطن أصبحت على حدود إيران الشرقية في أفغانستان، وشمالاً في جوار بحر قزوين في أكثر من دولة من دول الاتحاد السوفيتي السابق، كما أن جارتها باكستان دولة نووية ولها علاقة جيدة مع واشنطن، وهي

تسير باتجاه علاقات مماثلة مع إسرائيل كذلك الأمر مع تركيا أما في جنوبها، وبفعل مصالح واشنطن الإستراتيجية في الشرق الأوسط، وحماية أمن إسرائيل وتدفق النفط، كل ذلك جعل تواجد واشنطن العسكري أكبر وأضخم من أي منطقة أخرى، ناهيك عن العلاقات العربية- الإيرانية المتوترة أصلاً ولعل أبرز ما يوضح القلق الإيراني من التواجد العسكري الأمريكي بجوارها هو ما عبرت عنه الرسالة التي أرسلت من قِبل 153 نائباً إلى البرلمان الإيراني حيث أشارت إلى أنه في أعقاب وضع القوات الأمريكية في أفغانستان واحتلال العراق فقد وصل التهديد إلى حدودنا.

كل هذه العوامل تشكل معيقات أمام إيران، تجعلها أكثر عرضة للمخاطر، تدفع طهران قسراً فى اتجاه إقامة علاقات مع واشنطن ، أهميتها ترجع إلى تخفيف حدة التوتر بينها وبين واشنطن، بالإضافة إلى أن هذه المشاورات المباشرة تسمح لواشنطن الاطلاع مباشرة على وجهة النظر الإيرانية خاصة عندما تتوتر العلاقة بينهما أضف إلى ذلك أن هذه المشاورات واللقاءات السرية التي تجرى من الأبواب الخلفية، تساعد إيران في إيصال رأيها إلى إسرائيل، ففي هذه الحالة تلعب واشنطن دور الوسيط بين إيران وإسرائيل كما أن هذه اللقاءات تقوي من الآمل في تحسين العلاقات الأمريكية الإسرائيلية - الإيرانية وهي

بالفعل لعبت دوراً في استمرار النظام الإيراني المتشكل إثر الثورة الإيرانية1979فمشاورات إسرائيل وإيران في عقد الثمانينات بخصوص صفقة الأسلحة، والمشاورات الأمريكية ـ الإيرانية بخصوص الرهائن ، عززتا الأمل في إعادة العلاقات إلى سابق عهدها، خاصة أن إسرائيل استمرت فى العمل على إعادة علاقاتها مع النظام الإيراني الجديد وحاولت عبر وسطاء إعادة هذه العلاقة0

دور إيران فى الأزمة السورية

اختلفت الآراء بخصوص جدوى مشاركة إيران في مؤتمر السلام حول سوريا فبينما ترى قوى دولية استبعاد إيران عن المؤتمر ترى أطراف أخرى أن التوصل لحل شامل للأزمة السورية لا بد أن يمر عبر إيران وبعد جهود طويلة تقرر أخيراً عقد مؤتمر السلام الخاص بسوريا في مدينة مونترو السويسرية ويهدف هذا المؤتمر إلى وضع حد للحرب الأهلية الدائرة في سوريا التي خلفت حتى الآن أكثر من 120 ألف قتيل وحسب لائحة الدول المشاركة في المؤتمر، التي أعلن عنها المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى سوريا الأخضر الإبراهيمي، فإن إيران لن تكون حاضرة فيه بالرغم من دورها المؤثر في الأزمة السورية.

إيران تزود سوريا بالجنود والسلاح

يرى مدير مركز بحوث العالم العربي في جامعة ماينز، جونتر ماير، أن إيران تعتبر محوراً أساسياً في الحرب الدائرة بين بشار والشعب السورى، ويقول ماير في حوار مع DW بدون الدعم الإيراني لم يكن بوسع الأسد الصمود في السلطة حتى الآن ويرجع سبب دعم إيران لسوريا إلى الشراكة الإستراتيجية التي وقع عليها البلدان عام 2006 التي نتج عنها تحالف عسكري تعهد فيه الطرفان بالوقوف إلى جانب بعضهما البعض في وقت الأزمات لذلك فإن إيران تُسخر كل إمكانياتها من أجل مساعدة الأسد على البقاء في السلطة، كما يرى ماير وحسب المخابرات الأمريكية فإن إيران تقوم بتزويد قوات الأسد بالأسلحة عن طريق الجو ولا يشكك في إرسال طهران لقوات خاصة من الحرس الجمهوري الإيراني من أجل تدريب قوات الأسد على التصدي للشعب السورى الذى يرفضه وعلاوة على ذلك هناك مؤشرات على قيام إيران بتدريب جنود عراقيين للقتال إلى جانب الأسد.

وحتى وقت قريب كانت إيران تُخفي دعمها العسكري والاقتصادي لنظام الأسد، ولما قامت قواتُ الجيش السوري الحر بالقبض على عدد من عناصر من الحرس الثوري الإيراني ، زعمت طهرانُ أن تلك العناصرَ غيرُ تابعة لقوات الحرس، وأن مهمتهم ليس لها علاقةٌ بقوات

بشار الأسد،والفترة الماضية شهدت تحولاً جذريًّا في موقف إيران من الأحداث في سوريا، وأصبح دعمها لنظام الأسد يتم دون مواربة أو غموض،وإن أخفتْ إيران حدود هذا الدور وأهدافه؛ فقد أعلن قائد الحرس الثوري الإيراني، أن قوات فيلق القدس الذي يقوم بتنفيذ عمليات عسكرية سرية خارج إيران موجودة في سوريا، لكنه لا يلعب دورًا عسكريًّا في سوريا، وأن وظيفتَه تقديمُ الاستشارات الأمنية والمساعدات الاقتصادية وهذا التصريح يعكس خلافًاً جوهريًّا داخل النخبة الحاكمة في إيران التي تعاني من مشكلات اقتصادية ضخمة جراء العقوبات الغربية والأمريكية، لكنه في نفس الوقت يُخفي رغبة طهران في استعراض قوتها في سوريا، وأن تصدِّرَ مشكلاتِها الداخلية إليها، أو بمعنى آخر استغلال الأزمة السورية في لفت نظر العالم والقوى الدولية عن برنامجها النووي،لاسيما أن من مصلحة طهران بقاءَ نظام الأسد، باعتباره أحدَ أهمِّ حلفاء إيران في المنطقة.

وعقِب تصريحات قائد الحرس الثوري الإيراني، خرج المتحدِّث باسم الخارجية الإيرانية رامين مهانبرست لوسائل الإعلام نافياً وجود أي دور عسكري تمارسه بلادُه في المنطقة، خاصة في سوريا تضاربُ وتناقض التصريحات الإيرانية يعكس رغبةَ طهران في إرسال رسائل ضمنية للغرب بوجودها في سوريا، ومن ثم فإن أي تدخل دوليٍّ في الشأن

السوري سيواجه ردَّ فعل عسكري عنيفٍ منها، طبقًا للاتفاقيات الأمنية والعسكرية المشتركة بين الدولتين، التي أكد المسؤولون الإيرانيون استعدادَ طهران لتفعيلها حال طلبت دمشقُ ذلك.

لا شك أن التأكيدَ بإشارات ضمنية أو مباشرة بوجود عناصر الحرس الثوري في دمشق، يعكس رغبةً داخلية في إعلاء قوات الحرس على غيرها من فروع الحكومة الإيرانية، وهذا التوجه حدث من قبْلُ، عندما وجَّه قائد فيلق القدس اللواء قاسم سليماني في ربيع 2008 تصريحاتِه لقائد القوات الدولية في العراق ديفيد بترويوس قائلاً: فيلق القدس يسيطر على الأوضاع في غزة والعراق وأفغانستان ولبنان مؤكدًا أنه يتعيَّن على الولايات المتحدة التفاوضُ معه لحل مشكلات الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا.

أصبحت طهران في الواجهة السورية، وأيَّ عمل عسكري غربي سواءٌ مباشرًا أو بالوكالة سيواجَه بردِّ فعل عنيف من قوات الحرس الثوري الإيراني، التي سمَحَ غيابُ الدور الدولي والإقليمي لها بالتمدد والانتشار في سوريا؛ لذلك فالخيارَ الأفضل في تلك الحالة هو الدعمُ القوي والفعال من جانب القوى العربية والإقليمية والدولية للمعارضَةِ السورية في الداخل؛ للتعجيل بسقوط بشار.

إيران تنفذ مذابح شرسة

قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، إن تركيا لديها معلومات عن أن القوات المدعومة من إيران في سوريا تنفذ مذابح شرسة حسب تعبيره وأنه لا يمكن حل الأزمة السورية وأزمة اللاجئين دون إقامة منطقة عازلة في شمال سوريا وحظر الطيران.

وتعهد أردوغان بإنفاق 3 مليارات دولار قدمتها الدول الغربية لتركيا لدعمها في رعاية اللاجئين، مطالباً المجتمع الدولي بدعم فوري لبناء مناطق متكاملة لإيواء اللاجئين السوريين، داعياً المجتمع الدولي إلى بذل جهد أكبر لمنع التطهير العرقي في سوريا وتوقع أردوغان ارتفاع أعداد اللاجئين السوريين بمقدار 600 ألف لاجئ في حال استمرار الهجوم على حلب.